

الأبحاث العَلَوِيَّة في

الفلسفة الإسلامية

تأليف الأستاذ الشيخ
أحمد بن مصطفى العلوي المستغاني

أحباب الإسلام

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه .

الحمد لله الذي أفاض على قلوب أوليائه ، من أسرار معرفته ، ما تكل الألسن عن تعبير معانيه ، فحاضوا بحار قدسيته ، واستخرجوا أعز جواهره ، فأبرزوها للوجود ، بعدما كانت في طي المفقود ، ولسان الحال يقول : هل من عاشق ؟ هل من راغب ؟ فتلقته العقول السليمة ، وتقبلتها قلوب العاشقين بأحسن قبول .

نحمده تبارك وتعالى ونشكره على ما أولانا ووفقنا بعد أن هدانا ، لطبعها وبشها بين أهلها الذين هم الآن في أمس الحاجة إليها . نعم طالما تشوق الإنسان مقتبسا الهداية من أهلها للقيام بأعباء الرسالة التي كلف بها والتي لكل واحد منا له نصيب منها ، فكلنا كما قال عليه الصلاة والسلام «راع ومسؤول عن رعيته» .

ونصلي ونسلم ونبارك على سيدنا ومولانا محمد المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق ، عين الهداية ومفتاح الوجود ، خاتم النبيين والمرسلين ، إمام العارفين وسيد المتقين القائل : «يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها» .

فجزاه الله عن أمته خيرا وعن المخلوقات جمعا ، من قال في حقه تبارك وتعالى : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» *

أما بعد ، ان جمعية «أحباب الاسلام» لتتشرّف بتقديم جوهرة ثينة وقيمة فريدة ألا وهي هاته «الأبحاث العلوية في الفلسفة الاسلامية» أولا رغبة لصاحبها الذي لم يأل جهداً في النصيح لأبناء ملته مرتجيا الخير للبشرية بأجمعها ، فثانيا خدمة للنسبة فثالثا خدمة للعلم وللانسانية حيث صار كل واحد منا يتساءل كيف المسلك ، كيف المخرج من هذه النائية التي حلت في هذا القرن العشرين حيث يطلب الانسان السبيل الى السعادة الكبرى ، سعادة المجتمع ، سعادة البشر أجمع .

فقد جادت قريحة رجل قد تكرم به الدهر وأبرزته العناية الالهية للوجود رحمة وقدوة للانسانية ، هذا الرجل العظيم الذي لم يولد ولن يولد مثله منذ عهد ، ألا وهو الأستاذ الأكبر أبو العباس الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى العلوي قدس الله سره .

فمن تأملها بامعان وعمل بما فيها لا شك وأنه يجد المخرج للحصول على الفوز والترقي الى دائرة الفضائل والجلود : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين» **

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ربط جبل الانسان بالعلويات السماويات ، بعد استخلاصه له من اجناسه السفليات فكان بذلك انسان عين الوجود والنقطة المركزية لدائرة الفضائل والجلود مهما كان انساناً بالمعنى المراد من خلق الانسان لا غير ثم الصلاة والسلام على من هو للانسانية غاية وللحقائق الأقدسية بداية نبراس الأزل ومحور الكل الداعي الى الله باذنه ، العارف بما له وما عليه ، وعلى آله وصحبه وذويه .

اما بعد فيقول المعتمد على العزيز القوي ، عبد ربه احمد بن مصطفى العلاوي ، انه من اهم ما جادت به القريحة ، ووجبت به النصيحة ، نشر هاته الأبحاث الابتدائية ، في التعاليم العلاوية ، وقد كانت تلقى في اوقات مختلفة ، وعلى كيفية غير مطردة ، فيأخذ منها المريد بقدر استعداده ، اما الآن فقد ظهر حصرها ونشرها ، والغرض من ذلك تعميم الانتفاع بها ، فمن رآها من قليل ما يتنفع به فليأخذ منها ما يعنيه ، والا :

«فمن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» .

(البحث الأول)

في الخلاصة الانسانية من اجناسها الثلاثة

اقول ان الانسانية تخلصت عن موالدها الثلاثة اعني مطلق الجسمية ، ثم الأجسام النامية ، ثم الأجسام الحيوانية ، ويصح التعبير عن هاته الثلاثة بالأجناس السفلية للانسان من حيث المكانة والعلويات له من حيث الأعمية لأن الحيوانية أعم من الانسانية واخرى النامية ومطلق الجسمية .

اما تخلصه من الأنخوة أعني من نحو الأجسام الجامدة فكان بمثل النمو والذبول والحركة الارتماشية وهذا القيد وقع اشتراكه بمطلق النباتات ثم وقع تخلصه منها بالفيض الروحي عليه المستلزم لبعض الادراكات الحسية له وهذا القيد وقع اجتماعه بمطلق الحيوانية .

ثم وقع تخلصه منها بالناطقية او تقول بالعقل النظري وهذا المخلص الأخير هو الذي ربطه بالعلويات السماويات مثل ما فصله عن السفليات المنحطة ولهذا اعتبر بالقدر المشترك لتنازع الرتبين اعني العلوية والسفلية ولا تتحقق الانسانية الا فيما بين ذلك وفي شبه تخلصه هذا قال عز من قائل «وقد خلقكم اطواراً» ، ومنه قوله «ثم انشأناه خلقاً آخر» .

خلاصة

البحث الأول وفائده

لينظر الانسان وجه تخلصه وتخلصه من السفليات وارتباطه بالعلويات المرتفعة وبمادا كان ليحافظ عليه حتى لا يدخل في الحكم العام .

البحث الثاني

فيما يجده الانسان في نفسه من الاحساسات نحو
موالده الثلاثة

فاقول ان للانسان ارتباطاً باجناسه السفلية ارتباطاً محكماً الا ان ارتباطه بالحيوانية اقوى منه في الباتية وارتباطه بالنباتية اقوى منه في مطلق الجسمية ولهذا تجده متأثر للحيوانية

وينفعل لانفعالها مهما لحقها ما يوجب الانفعال لغير فائدة اكثر مما يتأثر لكحطام الاشجار مثلاً وهكذا يجد في نفسه من الاحساسات على هذا النوع ايضاً اكثر مما يجده فيما يلحق الاجسام الغير الناعية مما هو من ذلك القليل وما ذلك الا لقرب رحمه بالحيوانية المطلوب مراعاته .

ثم ان الاحساسات تختلف في الانسان من جهة القوة والضعف باختلاف نصيبه من الانسانية . فقد لا يتأثر بانحطام الانسانية اجمع وذلك لعدم نصيبه منها وقد يتأثر لاقط حيوان كيفما كان والى اولئك الاشارة في قوله عز من قائل :

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»
والشاهد في «يمشون على الارض هوناً» .

خلاصة

البحث الثاني وفائدته

لينظر الانسان وجه معاملته واحساساته نحو موالده الثلاثة ليوفي من الحق ما هو مطلوب بمراعاته حسب الروابط .

(البحث الثالث)

في بيان وجه الارتباط الانساني بموالده السفلية

فاقول ان سلسلة الموجودات محكمة التماسق وعليه فدخل الانسان في الحيوانية ضروري ، اما دخول الحيوانية في النباتية فيتضح من جهة مراعات استعداد الجميع لعوامل الطبيعة زيادة على القدر المشترك بين العنصرين في نحو النمو والذبول والحركة الاضطرارية وغير ذلك مما لا يستعصى معه دخول الحيوانية في حكم الناطقية وهذا لو لم يرم التنزيل مثله ، اما والحالة انه يقول :

«والله انبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجاً»

فهو صريح وإذا فلا مجتمع ان يقال فما الحيوان الا نبات فصل عن الارض يستمد من اعلاه ، وما النبات الا حيوان ركز في الارض يستمد من اسفله «والله خلق كل دابة من ماء» وقوله «وجعلنا من الماء كل شيء حياً» .

خلاصة

البحث الثالث وفائده

لنحقق الانسان ان لا شيء يمتاز به عن موالده الا بما كان من قبيل اكتساب الفضائل ،
فال تعالى «ان اكرمكم عند الله اتقاكم» .

(البحث الرابع)

في كون الانسان حيواناً لا يمتاز الا بالخاصية
ان وجدت فيه

فاقول ان ارتباط الانسان بالحيوان غير منفصل لاستخدام القرينة في ادراك وجه الرابطة بما
ان الانسان حيوان والحيوان انواع ، واذا بالخاصية هي الانسان وبنوعها فلا انسان ونعني
بالخاصية ما يفصله عن جنسه العام ويحمله في الحيز المقابل له بكل معنى غير ان وجودها فيه
بهذا الاعتبار غير مستحكم المرى كاستحكام الحيوانية فيه ، وعليه فهو حيوان أكثر منه
انسان .

وليتأمل عوارضه البدنية بالنظر لتواضعه الروحانية على وجه التوازن فلا شك انه لا يجد
من القسم الآخر ما يعتمد به في الغالب ، ولهذا تجد معاملة الانسان للانسان اشبه بمعاملات
غير الانسان لافراد جنسه ، ان لم نقل انقطع منها في بعض المظاهر .

واذا فالانسانية مفقودة المسمى بهذا الاعتبار وان وجدت فهي معنوية التأثير او هي
عاملة في الخفى حذراً من ان تقتربها السباع والا لظهرت في حيز تقع الاشارة عليه .

خلاصة

البحث الرابع وفائدته

لنتأمل الانسان في افراد نوعه أهم للانسانية اقرب ام بالحيوانية انفسب ولا ينسى نصيبه ذلك .

(البحث الخامس)

في جواب ما هو الانسان

فأقول ان الانسان هو الفرد المتكاثر المستطيع ان يحكم نفسه بنفسه وهذا ما يتيسر ان
فه به على فرض ان يكون الانسان هو ذلك المرتي بالابصار الملموس باليد اما على تقدير
ان الحواس لا تتعدى الحيوانية منه فلا يكون في التعريف هذا ما يستريح اليه الضمير
بحم اذا ان يقال في تعريف الانسان انه يطلق على معينين :
الأول هو المشهود بالحواس المدرك باللمس المخصص بالفصل النوعي من الجنس .
الثاني له لوازم وخصائص تميزه عن الاول اشهرها ترفعه عن مجازجة الطبيعة وما هو من
الفساد .

وحقيق ان يسمى الاول بالانسان المعقول والثاني بالانسان المجهول وليس للقاتل اكثر من
يقول :

«ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي»

اذ لا نستطيع ان نتوسمه من وراء هذا الشكل الكثيف والطبع المتحجر الا قلر ما بيديه
احيانا من بعد المدارك ورقيق الشعور فنخضع الى ان نقول :

«حاشا لله ما هذا بشرا»

ولكن نريد ان نعرفه وهو بشر فهل من غير بما يخلج له الفؤاد ويستريح به الضمير .

وهل في استعداد الانسان ما يهديه الى ادراك كنه معنى الانسان اما على القياس فمتعذر
لاني رأيت ادراكاته كلاً منها عاجزاً عن ادراك نفس ما هو به مدرك فالعين مثلاً لا تدرك
عينها وقس على ذلك حتى العقل فان في استطاعته ان يدرك ما يتاقى ادراكه دون حقيقة ما
هو به عقل .

وبهذا النموذج نتحقق ان الانسان ليس في استطاعته ان يدرك ما هو به انسان الا اذا
رفعه الله اليه غير ان في امكانه أن يؤمن بان الجوهر الانساني أعز شيء يوجد فيما اشتملت
عليه العوالم اجمع .

خلاصة

البحث الخامس وفائده

استخدام القرينة واستلغات النظر الانساني لما هو به انسان عملاً بقوله عز من قائل :

«وفي انفسكم افلا تبصرون»

وان عسى ان يعثر الانسان على ضائه لما في الأثر

«من عرف نفسه فقد عرف ربه» .

(البحث السادس)

فيما يتحسب على الانسان من آثار
موالده في حال تخلصه منها

فاقول لا بد للانسان من ان يكتسب شيئاً من آثار موالده الثلاثة او نقول اجناسه
السلفية في حال مروره عليها ، ويكون تخلصه منها بقدر استعداد جوهره الانساني وقد لا
يتخلص تماماً من جنسه البعيد ، اعني مطلق الجسمية ، فيظهر عليه أو فيه من الجمود ما
يربطه باصله الجمودي ، فتراه في الصلابة شبه الحجارة او اشد قسوة .

ومن الجواهر الانسانية من يتخلص باستعداداته من جنسه البعيد ، غير انه لا يلبث ان يعمل فيه المتوسط ، اعني النامي ، فيكسبه من الحركة الغير المنتظمة التي لا يعتد بها في الغالب ، وهي خاصة مطلق النباتات تظهر منه طوع الهوى اكثر منها طوع الارادة .

وان من الجواهر الانسانية من يتخلص باستعداداته من جنسه المتوسط كتخلصه من البعيد ، غير انه لا يحيد من ان يعمل فيه جنسه القريب ، اعني الحيواني بما انه جزء معناه ، نعم يمكن تهذيب الجزء واستخدامه طوع الناطقية ان سلمت الفطرة ، ومن هنا رجحت المعالجة وتعين التربية .

خلاصة

البحث السادس وفائدته

لينظر الانسان ما عسى ان يجد شيئاً يتخلل جوهره اللطيف من آثار موالده ليحاول التخلص منه ولو بالتطبع جهد المستطيع .

(البحث السابع)

في اصناف الناس

باعتبار ما اكتسبوه من الطبيعة

من جهة الحركة والسكون

فاقول ان الحركة الانسانية حركتان فكرية وبدنية ، اما الحركة الفكرية فان الناس فيها طبقات ، فمنهم من لا حركة له تعتبر في عالم الناطقية البتة ، وهذا الصنف لا ينتفع بوجوده في عالم المعقولات الا مثل ما ينتفع بالصخر في عالم المحسوسات ، فان تكن له حركة فغيره .

ومنهم من له حركة هناك غير انها صادرة منه على غير انتظام او تقول عن غير ارادة ، فهي اشبه شيء بالارتعاش ، وهذا الصنف ينتفع بحركته في عالم المعقولات مثل ما ينتفع

بحركة الاشجار ونحوها من النباتات في عالم المحسوسات ، غير انه لا يعتد بهاته الحركة حيث كانت طوع الهوى .

ومنهم من له حركة انتظامية ارادية غير انها مقيدة للغير اكثر من افادتها لصاحبها ، وهذا الصنف ينتفع بحركته في عالم العقولات مثل ما ينتفع بحركة الحيوان المسخر للانسان في عالم المحسوسات .

ومنهم من له حركة ذات التأثير الفعالة في غيرها من بقية الحركات الفكرية وهؤلاء هم قواد الافكار في كل عصر ، فوظيفتهم في عالم العقولات وظيفه الانسان في عالم المحسوسات ، وهي الطبقة العليا التي تتضمن بين افرادها كانباء البشر وخاصة المصلحين .

اما ما يتعلق بالحركة البدنية فيجري فيها ما تقدم في الحركة الفكرية من كون الناس فيها طبقات .

فمنهم من لا حركة له البتة ولو فيما يعود نفعه عليه واخرى ما يعود نفعه على غيره ، ويكون وجود هؤلاء في المجتمع الانساني شبه العضو الاشل في جسم الانسان . ومنهم من له حركة سائرة طبق الهوى على غير انتظام ، فينتفع بها في المجتمع تارة ويتضرر بها أخرى .

ومنهم من له حركة ارادية انتظامية يعود نفعها على صاحبها واكثر ما يعود على المجتمع ايضاً على شرط ان يكون صاحبها مسخراً لغيره .

اما اهل الطبقة العليا من ارباب الحركة البدنية والقوة النفسية فيعتبرون عاملين في ابناء الانسان مثل عمل الانسان في أنواع الحيوان وان هاته الطبقة تتركب من نحو الامراء والملوك وأرباب الثروة .

قال جل ذكره :

«ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» .

خلاصة

البحث السابع وفائده

يتحقق الانسان مكانته بين هاته الطبقات ويختار لنفسه ما شاء ان يختار ويهتفي الله في ذلك لمختار .

(البحث الثامن)

في كون الانسان في قومه اشبه بالعضو في بدنه

فاقول ان الانسان متحد الحقيقة وان تعددت افراده ، فهي لا تعمل الا كـ لـ به قوام الانسان وعليه فلانسان اذا ليس بمتمدد ، قال جل ذكره «ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة» وهذا يتضح كون الفرد في المجتمع الانساني هو بمنزلة العضو في البدن ، ولأعضاء ابديّة تختلف باختلاف منافعها ، وكيفما كان العضو لا يستعنى عنه بعدمه أو بوجوده ، هو اشرف منه ، فكل لضروريته يحتر شريعاً مهما كان عاملاً فيما تعود فائدته على البدن لأن ضرورة البدن موزعة حسب اعضائه .

وهكذا ضروريات المجتمع الانساني وزعت حسب افراده ، فما من طبقة الا وفردت بشيء من حاجيته تتوقف عليها ضروريات الانسان لا يتأني الاستعناء عنها بحال ، وهكذا الفرد من افراده فيما نراه «كل ميسر لما خلق له» الحديث .

ومهما كان الفرد بتلك المثابة عاملاً على استجالات النفع العام اكبر من عمنه الخاصة بعينه بعد عصور عاملاً في الجسم الانساني ، والا فهو بمنزلة العضو الاصل ضروره في ابدن اكبر من نفسه .

ويرشدك هذا ما تراه من عمليات اعضاء البدن فانه ما من عضو منها الا وعمله بعينه أكثر منه نفسه ، ولجميع متحد على قعر البدن ، فالخواص مثلاً لا تعمل الا لتفريّة احسن

المشترك بياحد العنصر من ذلك ما به الحاجة لافادة البدن والعقل نفسه ايضاً لا يعمل لشيء
يستقل به دون مجموع البدن ، وهكذا نجد سائر الجوارح الظاهرة والادراكات الباطنة ما
من آفة منها الا وعائتها اسمى من ان تستتر بنفع دون أن تشاطر فيه عموم أحرار ابدن .

ثم ان التصريح سهل لمن اراد توسيع العبارة على ما قررناه والعاية هي محاولة هو أن يعتبر
الفرد في قومه منه العضو في بدنه ، وليجتهد ليكون معه عائداً على قومه أكثر منه على نفسه
بدون ما نفوته حصته لأنه من افراد المجتمع يسعد بسعادته ويشقى بشقوته ، ومهما
بواطاء افراد الامة على ما هو المطلوب من كل فرد منها لرم ان تتحقق سعادتها ويرتفع
كعبها بين الأمم ولو بعد حين ، وهي العاية والعرض من كل مصلح

ومن احسن ما يعتمد في هذا الباب قول النبي عليه السلام «مؤمنون كالجسد الواحد اذا
شتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» . ولم يتداعى سائر الجسد لهذا
العضو ياترى لم يكن عمله للجسد أكثر منه لنفسه ؟ وهكذا الفرد في الامة اذا اشتكى
يتداعى به سائر المجتمع مهما كان عاملاً لنفسه .

خلاصة

البحث الثامن وفائده

ليعرف الانسان مرتبة عضويته في الجسم الانساني وهل هو عامل أم عاطل وهل في عمله
ما يعود بفعله على المجتمع أم غير ذلك .

(البحث التاسع)

فيما يعجز به الانسان

بين قومه

فاقول ان الفرد الانساني في الامة يعتبر عما يؤديه اليها من نحو الضروريات والحاجيات أو
سكليات حسبها تعبر الاعضاء في البدن .

وهذا يقال قيمة كل امرئ ما يحسنه ، فمرتبة العين في البدن مثلاً ليست كمرتبة الخصى
 ومرتبة الخصى ليست كمرتبة الحجاب وهكذا ، وكيفما كان الأمر ليس شيء يتردد من
 مركبات البدن جاء لغير غرض . وهذا ما يطرده أيضاً في أفراد الأسماء ، فكل مجموعة من
 مع صفوف المراتب من جهة للشرف والخدمة ، والمطلوب والاعتماد لا يعتد في أصل
 التكوين .

والحق لم تعلموا مدى وإن لم تكن أعمالكم بالهدية حسناً مثله السربل « فاحسبتم أنكم
 أحقناكم عبثاً وكنم اليأس لا بمرحوم » .

ولكن قد يحصى وجه الحكمة أحياناً على الأساس في خصوص أفراد من جهة ما هم عليه
 غير أنه يدرك كون استواء المراتب تعطلاً وهذا الظن يحسن للإنسان أن لا يعتد به في
 المجتمع كيفما كانت منزلتها ، مهما كان لها حلاً على قانون الاعتدال ، حيث أنه لا
 يستطيع خرق قانون فطرة الله التي فطر الناس عليها .

فانه تعالى هو الذي أعطى كل شيء خلقه نصيباً غير منقوص .

فيكتف من الأعمال بما يراه مرتكراً في طريقه ، ولتوسع فيه بقدر استطاعته فانه أوفق
 له وأرفع لأبناء نوعه ، لأن الحقائق لا يمكن أن تدور مع المحاولة ، فالسمع في البدن لا يتأثر
 به يكون بصراً ، والبدن لا يمكن أن يكون لساناً ومن على ذلك ، وليس على الجرح في
 البدن أن تقوم بأكثر مما خلقت لأجله .

خلاصة

البحث التاسع وفائده

لا يبعد أن يتعبد الأساس من حياء ومجود ما مرشده لأسرار الكائنات وأفراد
 الموجودات ، فلا يردى شيئاً منها وإن أعطيت ربه .

(البحث العاشر)

في كون المجتمع الانساني مفتقراً الى من يسوسه

فأقول قد تقدم في الأبحاث السابقة ما يفيد كون الانسان في حيوانيته ارسح منه في
سايته والمعنى انه حيوان اكثر منه انساناً ومن تلك الحيثية يكون مفتقراً بالطبع الى من
يسوسه، ولدت اقتضت حكمة الله تعالى ان تحجزه تحت اوصاع سماوية يحثه على انهاجها
محتدراً وارع الايمان بالعيب الناشئ عن طرفي الترغيب والترهيب ، وهذا الورع هو الكمال
في ردع المجتمع البشري من حيث انسانيته .

اما من جهة حيوانيته فلا بد له من مؤازر وليس ذلك إلا القوانين السلطانية التي جرت
حكمة الله ان تكون مؤازرة للأوامر السماوية لتسوس الانسان وردع حيوانيته من حيث
ظاهرة ، فكان الدين والسلطان بهاته المناسبة كالشريكين في تقويم العمل بحيث لا غنى
لاحداهما عن الآخر ، فما يفوت الدين من عملية الاصلاح يتممه السلطان ، وعليه فلا بد
منهما معاً .

واما من يقول بصحة استغناء السلطان عن الدين في حفظ ما للانسان وما عيه فهو غير
امين بما ان غير المتدين لا يتوق القوانين الا في الجهر ، اما السر فلا لأن القوانين الصارمة
المرتبة على انتهاك الحرمات لا تجري على صاحبها الا مع البية .

فهي حاضرة له في الملأ ومن ذا الذي يحجزه اذا احتل بمال معصوم أو فرج محتوم ،
والحالة انه يؤمن من الاطلاع عليه ، لا والله ما يحجزه شيء الا اذا كان يخشى الله رب
العالمين .

وعليه فاندمنى بترتيب القوانين عن الزواجر الدمية متهم العقيدة لأنه كالفائل بجوار
اساك الحرمات مهما أمكن الخفا فهو انسان في الملأ وحشي في الخلاء . ثم اقول ومهما
اعترفا بلزوم سلطة دمية باطية توازر السلطة الظاهرية ، اعني السطانية في المحافظة على
حرية الانسان في بدنه وماله وعرضه بحيث يكون مأموناً سرا وعلاية .

فلا يعتبر ذلك اللزوم مجرد سياسة تسمى بالشرائع الالهية لان الفائل بذلك يعتبرها لم

توضع من اجته حيث يدعى انه مطلع على سر الوضع واذا يكون داخل ضرورة في دائرة من يقول بجوار انتهاك الحرمات مهما امكن الخفاء وهو المحذور منه سابقاً

وعليه لا يحصل للانسان تمام التبري الا اذا اعتبر الاوامر الالهية بما يعتبر به القوانين السلطانية بالمعنى انها على الحقيقة لا المحاز ، ويدخل حيث في دائرة من آمن بالله واليوم الآخر .

خلاصة

البحث العاشر وقائده

ليتضح للمفكر من ان وظيفة الدين فيما يرجع لحفظ الحقوق الانسانية ليست باقل اهمية من وظيفة السلطان .

(البحث الحادي عشر)

في قول من يقول ان صوت الضمير ينوب
عن الدين في ردع الانسان عن المنكرات

فاقول من المحتمل ان يقال ان ما اجتمعت عليه القدماء من لزوم مراعات الشرائع الالهية في حفظ ما للانسان وما عليه هو من ضرورة الظروف القاهرة جبراً عن محاولة العلية التي يرمى اليها كل مصلح وليس هي الا استتباب الامن وتقرير اسبابه بين امراد البشر اما الآن فقد مهدت الافكار وترقت العقول الى غاية كفيلة بتنظيم مهماتها على طريقة لا يفتقر معها الى شيء من نحو الشرائع الالهية تستد عليه وان الانسان يكفيه صوت الضمير راجراً من باطله عن ارتكاب ما لا ينبغي ارتكابه .

فاقول انها حرجية قد تنحدر لها صغار النعوس ودعوة باطلة منقوصة بالظواهر حسية تشهد به الاحصاءات من الجرائم اليومية وتلك الجرائم ضرورية صادرة عن غير المتدينين في العباب وامن اولئك من اصوات ضمايرهم ان كانت لهم ضمائر ها اصوات راجرة كما

يقولون ولكنها الاماحة اذا تسمت الى امة تحمل الايمان بتسللها رويداً الى ان تحمل مكانه .

وإذا لا تكفى الا برقع الخواصر التي من حملتها صوت الصبر ايهاً لانه حائل بين المرء وشهوته فهو صرب من التقييد الذي يعتقد الاباحي ان الراحة من ورائه وعند ذلك له صوت يارعه للعمل ولا يكون الا صهيل الرأع معنوم الشحنة لاسهاك هو، ناسهاك الايمان بالعيب وحيث به لا عيب يعتقد في مذهب الاباحي فيكون وجوده يصير صرباً من الوسوسة عنه التي هي اخرى بالعمل عنها سعيّاً وراء صفاء الوقت في صريح الاهدأك

وبالحكمة ان الاعتماد على صوت الصبر في حفظ ما للانسان وما عليه لا تقوم به حجة عند المصنف اما من علب عليه ثقوته فلا يرى إلا نقباء شهوته بأي طريق كانت .

خلاصة

البحث الحادي عشر وفائده

ليتحقق الانسان ان لا شيء جدير بالاعباد عليه في مؤازرة السلطان في حفظ ما للانسان وما عليه من الوازع الديني وتسمية الشعور بما عند الموت .

(البحث الثاني عشر)

« في اعيان التشريعات الاخراعية فالظر
للاحكام الالهية »

يعود التشريعات من اهل العصر ان الامساك الآن قد طبع رشده وازمع حزمه وبها لأن يكون مشرعاً لنفسه حسبما يراه ملائماً لضرورياته فيكون ما يتقيد بأي شرع مسمى زمانه وانقصى اوانه بهذا مسمى ما يقولون

أما أن أقول وعلى فرض صحة ما يقول هذا الفريق لا يكون الأمر مسلماً قبل التوارى فيما بين التشريعين الحقوقي والتشريعي الخلفي على أن المشرع نفسه يعترف بأنه لا يخصص تماماً في حال تشريعه من ملاحظة بعض أغراض شخصية أو مفاعيل خصوصية وهذا مضرر وإن كانت القوايين جمهورية فضلاً عن أن تكون فردية استبدادية حتى أن لقانون قد يسمى باسم مؤسسه ولا يسمى باسمه ويتأتى منه تنفيذه إلا إذا وأررته القوة على ذلك .

وأذا فالقوة هي المؤسسة للقانون لا الحق والحكمة ولهذا كلما عادت القوة إلى لصعب من صاحبها شأن مخلوق ينتقل القانون إلى عكسه أو يقضي بالتعطيل عليه لأن القوة قد انتقلت إلى من في الحيز المقابل له فلا بد وأن تظهر بأغراض المتنقلة إليه ومبادئه الأساسية كانت الأمة لا تنحصر أبداً من تأثيرات الأغراض الشخصية خصوصاً الصعفاء منها تراهم دائماً تحت رحمة المشرعين المتحكمين في دمايتهم وأموالهم بما يشاءون ويشاء هم الهوى فهذه حقيقة ما هم عليه .

أما الشرائع الإلهية فهي ثابتة الخلق لا تحبل الانعكاس حاكمية على الرئيس والمرؤوس حكماً مطرداً فالمستظل بها في أمن على الأبد من تقلبات الأغراض التي تظهر في كل حين بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان .

خلاصة

البحث الثاني عشر وفائده

لنصيب على أن الشرائع الإلهية خالية من الأغراض الشخصية التي لا تنفك عنها تشريعات البشر كيما كانوا .

(البحث الثالث عشر)

«في لزوم مراعات المديبر
لهذا العالم وليس هو إلا الله عز وجل»

فأقول أن الأصل الأصيل فيما قدمناه من مراعات لزوم سلطه دينية توارر السلطة

الحكومية فيما يرجع لاحترام الحقوق الانسانية هو مصرع عن اثبات المدير هذا العالم وقد
 جمعت الامم مع اختلاف معتقداتها قديماً وحديثاً من مكان السيطرة على اثنائه وان مع تباين
 مشارب فكل منهم يعتقد ثبوت الحق انما المختلف فيه تعيين الحقيقة اي ما هو ذلك المدير من
 حقه الماهية والكيف قد هبت كل فرقة الى ما سمح لها به اجتهداها او احرجها به كتبها فكان
 ذلك مسبب احترق املل وتعهد التحل وعلى كل حال فالنقطة الخامسة لطرف المتناقض هو
 الاثبات .

ولم يخرج عن هاته الدائرة الاشرذمة قالت بعبه واستندت الأمر لعمر اهله وبنا لينا لو
 قالت هو ذلك المسند اليه فكانت تحصل على طرف من الاثبات قد حل به في دائرة الموحدين
 ولو لم لا يطبق على ما في نفس الامر ولكنها افعلت شيئاً اعتبرت باعمالها له حرفة لما اجمع
 عبه العالم باسمه فلا جرم تتحمل مسؤولية ما انتهجت دنيا واخرى لانه كفر بآتم معناه وكل
 ما دونه من الكهريات هو مصرع عنه قال عمر من قائل : «ذلك بان الله مولى الدين آمنوا
 وان الكافرين لا مولى لهم» .

يحي اسم لا يعترفون له بالوجود ولا شك ان هذا مما يسوء المثبتين على اختلافهم وريادة
 على عدم اعترافهم تراهم عاملين على نشر مذهبهم وهم على صفة اعجاب ظناً منهم انهم
 غاروا على عدم من نتائج الرقي المصري ولم يشعروا بان انكارهم لدين هو ضرب من
 صروب الوحشية فحقه ان بعد فرحة في حب الانسانية لو يقول بقية حيوية بما ان هاته
 نفيدة قد كان نلهم بها الافدمون حساً اخر به التزليل مبناً عن قولهم :

«وقالوا ان هي الا حياننا الدنيا يموت وعي وما يهلكنا الا الدهر»

وعن هذا فلا تصح هاته العقيدة ان تعد من حساب هذا العصر عصر ارقى حساباً
 بفرون حيث نشأت اها مما تحصنت به الدهور العائرة والامم القاصرة ولا مستبعد فيها
 بكبره في تلك الاعصار على ما احبر به القراء حيث يقول

«ان هم الا كالاسام بل هم اضل سبيلاً» .

وما استغرب صدور من لرباب الالهية الذين ربما يرجي بمصالحهم صلاح العالم
 اجمع .

خلاصة

البحث الثالث عشر وفائدته

يستنتج المتشكك الى محاولة الدخول في دائرة المتيين ولو باقل ما يمكن الدخول به عن الحق لا يخرج عن دائرة الاثبات ولا يطلب الا هناك .

(البحث الرابع عشر)

«فيما هو السبب الحامل لبعض الفلاسفة
العصريين على نفى المدير»

فاقول : قد يقول القائل ان ما تفوه به الاقدمون من نفى المدير للعالم ربما كان الباحث عليه جمود ادهى وصلابة الطبع حسبا يخبر به التزليل حيث يقول «ان هم لا كالانعام» وعيه فما هو السبب في صدور نظره الان من اناس تبين اخلاقهم اخلاق من سلف من جهة السعة في العلم ورقة الشعور ؟

فاقول ان هذا السؤال حقيق ان ينتظر جوابه واذا امتعت النظر فلا تحده الا سابق الاعتقاد في الاله اذ كان على غير الوجه المطابق لما في نفس الامر لان لفيلسوف قبل اشتغافه بانفن الذي استشر منه نفى المدير لا يخلو من ان تكون له عقيدة تنقاه على سبيل لوراثه وكيفما كان تلقيه لها فهو لا ينحيل اله العالم الا شبه الانسان من جهة الكم والكيف مفره العنوجالس على كرمي او نحوه صالح ان يلمس باليد على التقدير فصلاً عن احاطة البصر به فهذا ما يمكنه ان يكون حاملاً معنى الاله عليه .

وحتى اذ وصل الى ما وصل اليه واستحكم به التحقيق من من الهيئة بواسطة ما استفاده من نحو التجريبات العلمية والاكتشافات العقلية المستعان عليها بنحو المكبرات وغيرها فانه لا يقع الاطلاع على ما يمكن الاطلاع عليه من هذا الوجود المرئي لنا الاعلى فراع متسع الارحاء تتحمله اجرام تفوق حد الحصر بعضها يسمى بالكواكب وبعضها بالشموس والآخر بالأقمار تتوقف حركة بعضها على بعض حسبما تقتضيه الجاذبية والبواميس الطبيعية

فيتصح لديه يقين ان الاشياء مرتبطة ببعضها والمسببات موقوفة على اسباب و لطيفة فعالة في مركباتها .

ولكن لا يخلص عدماً من تحسُّس سلطة رائدة تشير اليه بالوجود من وراء ما وصل اليه ادراكه ولكن يجعل القول بمجرد الطليعة وان مع توهم وجود ذلك التراث «وحيق الانسان محولاً» وهكذا تحلله يقول بالشيء ولكن لو امتحنته لم تجد فيه عائداً الاعلى الاله المتقرر في ذهنه سابقاً من كونه اشبه شيء بالانسان ذي مكان صالح ان يلمس بايد حسها تقلم ذكره .

وحقيق بان الاله الذي بهاته الصفة ليست عتقاء مغرب لولي بالشيء منه وعلى هذا التقرير يكون نفهم عائداً على الوصف المتقرر في الازهار لا على الاله الحق الذي هو عبارة عن العيب انصرف وفي طي ان لو قيل لاحدهم ان الاله هو عبارة عن سطوة خارجية متعللة الادراك تبين المادة بانهم المتباينة بتحسُّسها الانسان من قريب ومن بعيد وهي اقرب اليه من حين الوريد لم نزل مجهولة الكنه متعللة الادراك عن البصائر فضلاً عن الابصار والى ذلك يشير القرآن .

«لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير» .

«ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» .

لما كان يتعجل الشيء حساً نصله من قبل بما ان شعوره يثبت له شيئاً من وراء ادراكه .

«ولا يمحيطون به علماً» غير ان التأني كان به اجمل لما ربما ان ياتيه البيان من جهة الالبات او لشيء وكبعضاً كان حقه ان لا يتعجل النفي لانه قد يتصور من ضعف الادراك وهذا كان المثبت حجة على الباقي .

خلاصة

البحث الرابع عشر وقائده

يشعرنا بان النقائس بالنفي لم يكن نفهم صادقاً الا على ما توهموه في الاله من قبل اما لو كان هم الملام بشيء من احص عقائد الاسلام لما صادف نفهم موقعاً يقع عليه .

(البحث الخامس عشر)

فيما يشبه المجادلة بالتي هي احسن

وقول اني قد كنت كثيراً ما تتحرى اساليب الادب في المحاوراة مهما يستعدي الخط بالاجتماع مع من هو بالادب احرى ومن ذلك اني قد اجتمعت ذات يوم باحد من رجال الامة العصريين كان يقول بالطبيعة المحضة وبعد ما تحدانا الحديث باحسن ما ينبغي ان يكون منه بين المتحاورين .

فقلت له : وبعظكم بعتم العناية في صكم هذا باكمل تحرير من جهة تحقيق لنفي .

فقال لي : على ما يظهر

فقلت له : ومع ذلك لا يخلو من بقية شك لكم يرمي الى وجود سلطة زائدة على ما وصتم اليه او بقول قوة اعز من ان يحاط بها من جهة ما هي عليه حافظة للعالم من نحو الاختلال والتلاشي .

فقال : لا يخلو من بقاء نوع تردد في اثبات شيء متعذر الادراك مجهول الكنه .

فقلت له : واذا من المحتمل ان يكون غيركم على يقين في اثبات ما ترددم انتم في وجوده لان الادراك متفاوت وان الانسان للعجز اقرب منه للاحاطة .

فقال لي : وهو كذلك .

فقلت له : وعلى فرض اعترافكم كاعتراف غيركم بوجود هاته القوة البعيدة اما ان الذي يحور الاحاطة بها كل من الشك والوهم والظن واليقين وهي بالجميع احوط «وكان له بكل شيء محيطاً» بأي اسم تستحقه ليطابق مسماها يا ترى ؟ فقال لي لا ادري فقلت له واي مانع من ان نسميها بالالوهية .

فقال لي : ان ما تمكنت من تخيلها فضلاً عن ان نسميها . فقلت له : ان عدم تخيلك شيء

تحس بوجوده هو ردة الاعتقاد فاثبت على ما انت عليه الآن حتى ياتك اليقين لأن الاله الحق لا يبعد ان يكون هو تلك السلطة العيية التي يدق ادراكها عن الامكار السليمة قال تعالى :

«ولا يحيطون به علماً» وقال : «لا تتركه الابصار» وقال : «ليس كمثله شيء»
وعند هذا قال لي فان كان الاله على الوصف الذي ذكرتموه فأنا مؤمن بوجوده .
فقلت له «أما المؤمنون احرة» ثم وعدني ان لا يقول في الاسلام او يكتب فيه فيما بعد
لا عزم وانترفد على خالص الوداد

خلاصة

البحث الخامس عشر وفائده

يستنبطنا لتوحي أحسن الأساليب في تبليغ توحيد الله على حد ما امرنا بقوله تعالى :

«ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن» .

(البحث السادس عشر)

فيما يتعلق بحرية الضمير

فاقول ان الاساس قد يمدح باستقلال فكره وحرية ضميره لكن مع الاحترار من عوائله
لان حريته تفصي اي الاستبداد به وهو نفس التذهب القائل الحر بمنمنته الا ترى انه يريد ان
لا يتمذهب بأي مذهب كان فيقع في نفس ما عشي الوقوع فيه وبصير المستقل منه هو
مرحوع ايه ولربما يكون الرجوع بصفة اشنع من ذي قبل لانه كان مقتديا صار مقتدى به
في شيء ليس هو فيه على ية من ربه فتحمل بذلك تبعة الاتباع ودخل تحت الاشارة مع من

تقدمه من المذهب مدحاً و ذمّاً لألله حرية نفسها لم تكن إلا مبالغة في استقلال الضمير فراراً من المذهب بأي مذهب كان .

فاستنتجت بذلك مذهباً زائداً علاوة على ما سبق من المذاهب احدث في المجتمع الانساني تشويشاً وارتباكاً بما ان الكل كان قبل حدوثه مطبقاً على اثبات المدير هذا العالم انما الاختلاف الواقع كان في تعيين ذلك المدير ما هو بناء على ان الأشياء لا تدبر بنفسها وكيفما كان تخصيصه وبأي صفة كان اثبتة الا ويوجد الميث من باطنه ما يردعه حالياً عن ارتكاب الماكر وهتك الحرمات ولو كان شيء في الجملة وذلك من احسن ما يرجوه المجتمع الانساني من فائدة الاعتقاد .

ومع ما قلناه فاني لا أنكر بانه اعز شيء يحق للانسانية الانتحار به هو حرية الضمير لكن مع الاعتراف بالقصور عن الاحاطة ووجود التحسس بسلطة عيبة نسمى بالاله ذلك المطاع بالغيب ومن لم توجد فيه هاته الحاسة فيكون انساناً في الصورة لا غير واني اولئك الاشارة بقوله جل ذكره :

«لهم قلوب لا يعقلون بها» .

ما الانسان حقيقة لا يفوته من الشعور القدر الذي يحقق به عجزه وضعفه امام تلك القوة الغيبية والقدرة الشاملة المحيطة بالقريب والبعيد والغائب والشهيد اقرب لكل شخص من نفسه قال جل ذكره «ونعلم ما نوسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل السور» .

خلاصة

البحث السادس عشر وفائدته

ان لا يتعالى المفكر في استقلاله بضميره ومهما كان معجاً بعكره لا يسي ان للناس امكاراً فلا يحسهم حق التفكير .

(البحث السابع عشر)

في كون العقل قد يتطرقه الخطأ

كثيره من المبركات

فاقول ان الملخص من جميع ما ذكرناه ينحصر في كون الفلاسفة عاجزين عن ادراك ما وراء المادة والمعنى به لا يعول عليهم في الالهيات كما قد يعول عليهم في الماديات والسبب في ذلك استخدام العقل فيما وراء طوره واسترساله فيما لا يترتب عليه دليل يعتمد ولا برهان يعول عليه محتملاً بقلب خاسفاً وهو حسير ولا هراة ان رجوع الفقهري فيما فوق وسعه والحالة انه قد اعتدى الخطأ احياناً فيما تعود الولوح فيه والبرهان على خطائه اختلاف العقلاء في المعقولات وبالضرورة ان الحق ليس بمتعدد فيحظى الكل باصابته وان مع اختلافهم في مضمونه وعليه فكيف يكون اذا استرسل في شيء فوق طوره وبالجمله ان سائر ادراكات الانسان قد يتطرقها الخطأ والا لما صح ان يكون الانسان مخطئاً .

الا ترى ان الله تعالى قد جعل الحواس الخمس حاكمة على المحسوسات فالشم حاكم على المشمومات والذوق حاكم على المتذوقات وهكذا السمع على المسموعات والبصر على المبصرات واللمس على الملموسات ولما كان الخطأ قد يتطرق لكل حاسة عن حيثها جعل الله تعالى العقل حاكماً عليها لا هي حاكمة عليه كي لا تمتد بالخطأ بدل الصواب اوليس ان البصر يرى اجيال الشواهي متصلة بالسماء ومثلها البحار ونهى هو من رؤية السماء فصلاً عن اتصال الجبال بها ومثله الذوق قد يحكم ايضاً على مراوة العمل عند انحراف مزاج صاحبه وهكذا بقية الحواس وما يشاكلها من الادراكات الباطنية ولكن مثل تلك الاحكام عند العقل «لا نسم ولا نعي من جوع» لعمله بإمكان تطرق الخطأ فيما تحكم به الحواس ولما كان هو ايضاً لا يعدم نصيبه من التقصير احياناً حسبما تقدم برهانه جعل الحق تعالى له شرع حاكماً عليه فلا بد من اعناده خصوصاً فيما لم يتعود الولوح فيه وهو النور المهتدي به .

«ومن م يجعل الله له نوراً فما له من نور» .

خلاصة

البحث السابع عشر وقائده

يعتد ن الفلاسفة لا يعتمد عليها في الالهيّات الا اذا كانت بشاهد من الكتاب او السنة بخلافها فيما سوى ذلك .

(البحث الثامن عشر)

في توهين ما يعتمد دليلاً على النفي
لدى بعض الماديين

فأقول ان ملخص ما يؤخذ من هذا الباب ان القائلين بنفي المذهب عن قسمين من حيث الاستدلال غير ان ما اعتمدته فريق حجة في النفي استدلال الفريق الآخر بعكسه فكان برهانهما من حيث الاجمال متركباً من نقيضين واداً فقد كفانا كل فريق منهما مؤنة ما نتكلفه من استجلاب ما يدفع حجة مقابله وابطاح ذلك ان احد الفريقين يرى ان هذا الكون جاء على اتم ما ينبغي ان يكون عليه والمحمي ان الطبيعة عنده اعطت كل شيء خلقه بحيث انه لم يفت اي شيء حقه وقد اتضح لديه ان الأشياء مرتبطة ببعضها والمسببات موقوفات على اسبابها والعادة حاكمة في نفسها بدون ما يوجد في الكون ادنى اختلال وهكذا جاءت الأشياء وتبقى طبق النواميس ويرى هذا الفريق ان لو كان هناك رائد في الخارج على ما ظهر من الطبيعة يسمى بالآله حسبما يقولون لظهر اثره بحرق عادة او نقض طبيعة فنستدل بذلك اداً على وجوده في الخارج وحيث انه لم يوجد ما يناه العادة علم انه لا شيء هناك ...

وكأنني شهد الفريق برهانه من الآله ان يكون شبه ما يعتمد من الاسناد قد ينقص من قوته ما ابرمه بالامس وهذا ملخص ما يراه هذا الفريق دليلاً واما انا فاراه بالاثبات اخرى منه بالنفي .

الفريق الثاني يقول اننا سبرنا بعض الموجودات . وتتبعنا جملة من الكائنات محصاً ونقياً

دا سير وجود كل شيء وتتبع عمقه من جهة غيبه . وماذا عسى أن يكون وراء المنهى اليه ثم ينظر هل يتأتى ذلك منه في جميع المعلومات من جهة تتبع أسرارها . وان لم يمكن على انصرص فيما هو من قبيل أسرار المعلومات فكيف يمكن فيما هو من قبيل أسرار المجهول التي يكون أسرارها عند انتهاء ادراك الانسان وهذا مما لا تتأتى الاجابة عنه عن سبب المسؤول .

أما للحكيم النصف فهو المقتنع من نفسه في كون الانسان أحقر وأصغر من أن تثبت له الاحاطة حتى يعور نفسه وما هو به انسان ! وان كان كذلك فهل يحسن منه الترامي بالحكم عن الشيء بالشيء بدعوى كونه لم تثبت في نظره كأنه يريد أن يجعل نظره هو الميراث العدل الذي قامت به السموات والأرض بحيث أنه لا يفوت ادراكه الا ما لا وجود له .

أما أن فأرى من المحتمل أن يفوته كل شيء وما يجمعه أن يرى ما رأيته والحالة أن ادراكه ليوم هو أوسع منه بالأمس وقبل الأمس وهل هو الآن مستعد للزيادة في حد ذاته من حيث الادراك ؟ فلا شئ يكون جوابه ايجابيا . واذا عالقصان غير منك عن شيء يقبل الزيادة . وبالجمله فان الحكميم يكفيه افتخارا أن يدرك كون ما فاته من أسرار الكون أكثر مما حصل عليه باضعاف مضاعفة . والا فيكون بعده عن الحكمة بقليل بعده عن هاته الحقيقة الراسية في قلب كل حكيم . وبالجمله فان أعظم العظماء علما أكبرهم خضوعا . وأكثرهم اندهاشا أمام ما احتجب عنه من غيب الكائنات والى ذلك يشير التنزيل (وما أولئهم من العلم الا قليلا) .

خلاصة

البحث التاسع عشر وفائده

استنبات الانسان الى ادراك كون ما فاته من المعارف أكثر مما حصل عليه ليستطيع أن يكون مستعدا بذلك لقبول التعليم والاستفادة ممن هو أعلى درجة منه حسبما جاء به القرآن (وهو ق كل ذي علم عليم) .

(البحث العشرون)

في الفلسفة الصحيحة وفي كونها لا تنافي خالص التوحيد

فأقول أنه مما يتبادره الفهم العام من لفظة الفلسفة عالياً أنها عنوان عن سوء العقيدة ما قد يظهر من الاتحاد على بعض المسير إليها . والحلو أن ذلك لا يسبب الا لمتدحجين أو لمن لا تعد بصيرته من هذه الكشائف الى ما وراءها من اللطائف وكيف والحالة أنه مما يعتبر كالمبدأ الفردي لمساعي الفلسفة هو محاولتها ادراك ما به الشيء شيء حسب الطاقة والاستعداد . ولا شك أن من يتتبع عور الأشياء بغير صادق وبصورة نافذة لا يعد أن ينهي به سيره الى ادراك وجود ارتباطها بعالم غير مرئي لنا وهي ضالة الحكماء وقرة أهين جوحدين وهناك تجمع نظرية هؤلاء أو تكاد تجمع بنظرية رعماء الأديان المخلصين وإذا فاتهاجها عن الشرعية السابقة لا يتجح الا خالص التوحيد وان طوحت بصاحبها الطوابع في بدء ما م يكن ممن يقتصر على القشور عوض اللباب . كاختصار الماديين حيث عقدوا لعزيمة على أن لا يعطوا لما وراء المادة أو يقول للروحيات أدنى اهتمام .

أما غيرهم ممن تجاوزت أنظارهم الى ما وراء الماديات فقد تبسنت لهم أفكار المعالي من خلال هذه المظاهر فاكسبتهم ما ألجأهم الى القول بوجود يد عاملة من وراء سحب الكشائف تلك اليد التي لها وحدها القدرة والقضاء المبرم والمعنى أنهم الآن على يقين من وجود مسحة عينية تمثلت ببعض أفعالها بما ظهر للحواس من هذه المظاهر وما وراء ذلك ما لا عين رأت ولا أدرك سمعت . ولا خطر على قلب بشر

وهكذا نجدهم يعترفون بوجود الحياء الظاهر وحمص الحمحمه أمام تلك القوة المائلة الى بس في طبيعة البشر ما يهدي الى تصورهما . هذا ملخص ما يراه هذا الفريق وهو أقصى ما يمكن أن ينهي اليه في الالهيات حسبما جاء في التبريل

(ولا يحيطون به علما) .

(خلاصة)

البحث العشرين وقائده

هو أن لا يعتقد أن الفلسفة بطبيعتها موجبة للالحاد ولا عليا أن اعتقادها مظنة السقوط لعائد الاستعداد وهذا في الالهيّات لا في بقية أقسامها .

(البحث الحادي والعشرون)

فيما يفيدنا أن الشك الشئ في وجود المذهب
هو أحد دلائل وجوده لو تأملناه

فأقول لا يبعد أن يوجد في فطرة الإنسان ما يرشده إلى استخلاص برهان وجود المذهب من أي شيء شاء مهما كان مستخدما للقريحة طاهر الوجدان . ولكنه كثيرا ما يتعاضى أن يرى البرهان برهانا ولو عمر عليه (أن الإنسان لربه لنكود) وبناء على أنه لا شيء مفرغ من الدلالة على وجود المذهب يجدر بالحكيم أن لا يعونه ما يتوصل به إلى إثبات المشئ لهذا العالم . وإحالة أنه يرى نفسه قادرا على استخراج الشيء من عكسه وإذا فما باله يتعاضى عما اشتملت عليه هاته الكائنات من الحكم الباهرة وعن ما وراءها من المفاهيم المستترات الذي هو على يقين أن ما فاتته منها أكثر مما حصل عليه . وبالأأسف كيف لم يجعل الحق من قبل ما احتجب عنه ويستهل قليلا وإن مع وجود التردد ولينظر ما عسى أن يجد في لشك ما يستدل به على وجود المشكوك فيه لأنه شيء ولا شيء إلا وله تعالى فيه آية وإذا فالشك لا يبعد أن يوجد فيه آية تدل على وجود الله .

وبين ذلك أنك إذا أعطيته شيئا من الاهتمام تجده متركبا من التقرصين من العلمي والاثبات بدون ما يراحم أحد المتناقضين الآخر وهي آية في يأسها قبل أن تتصور في غيره من بقية الأشياء ثم إذا نظرت في مواد الشقين كلا على حقه تجد مادة الاثبات لا تتصور إلا من وقوع تأثير في الخارج . وإذا فما هو ذلك المؤثر الذي ألوجب ذلك القدر من الاثبات في مواد فارغ الدمة من كل شيء ولا يصح أن يقال أنه وقع من لا شيء والا لزم أن يتردد المعقل في وجود ما لا يدخل تحت حصر من المستحيلات والحالة أن المستحيل مستحيل لا

يتردد في عدمه وبالجمل أن الاثبات تخضعه الاحساسات الباطنة . ولا يمكن للإنسان أن يكون غير حساس ولا يسعى لصعيف الاحساس أن يحكم بما يجده في نفسه على غيره من الأقوياء .

أما الذي لا يجري فيه ما تقدم من كونه أثرا يفتر إلى مؤثر أيضا لأنه عبارة عن مراع الدمة وهي حالة مفترية يعلم الإنسان .

(ولله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)

حتى إذا استكمل الإنسان الوجود أخذ يتحسس بسلطة رائدة من الخارج . أو بما لا يدري بعجز عن تصورهما تمده بثبتها ثلثة ويتفحص أخرى . فحظه من الإيمان القدر المتسرب لباطنه من لارمها الذي هو الاثبات ويعتبر عزيزا ولو كان ضئيلا . وقد لا يعد أن يكون لصاحبه معراجا يتوصل به إلى مستوى الإيمان بالغيب . وقد يكون مهما جعل ذلك القدر نصب عينه ثم تأمل في أسباب تسر به إليه حتى أخذ من باطنه القدر الذي لا يستهان به ومهما سكر لذلك يجد ما يستريح له ضميره وأخرى أن ضم ما عنده إلى ما عند غيره من اليقين بناء على أن الحجاج تنقوى بعضها .

لم أقول أن شأن من ذكرناه في هذا البحث هو شأن من لا يستبين بالغيب لا شأن من قد ينكر الشهادة والله المستعان .

خلاصة

البحث الحادي والعشرين وفائدته

هو مجرد تنقيب واستلغات ولا يبعد أن يستقيم دليلا لدى المعارض الذي م يستقيم في نظره دلالة هذا العالم بأجمعه .

(البحث الثاني والعشرون)

في كون التدين غريزة في البشر

ماقول أن العطرة الالهية المودوعة في صميم الانسانية لم ترل تطالب المكلف بالرجوع إلى

مشيئة والاحياء لامره وسبه وهو مما لا يتأتى اتخاذه في الجملة حاول الانسان دلت من نفسه ام لا وانكل نعمم مقدرا حفظه من النزوع لهذا المبدأ حب ثم كره (فطرة الله التي فطر اساس عبيها) وادا ليس من الممكن أن يمحى هذا الأصل المتأصل ولو حاول الانسان اعصري أقصى مجهوداته ؛ نعم قد حاول ولكنه حاول عبثا . وقد يدرك صعبه أمام هذا السروع الخالد الطبع في البشر من عهد بروره . وهكذا يبقى ما بقي الانسان وان امحى بعض ملروماته .

وفي النظر العائب أنه لا تخلو سريرة اي كان من هذا السروع ؛ وقد تجد من يعترف به أو يكاد لولا تحكم الهوى يبع من النجاء بالواقع . وبالجمله فان العبودية في الانسان أشوق للمعبودية من الحديد للمصططيس . ويرشدك لذلك تطلبها لها في المظاهر حسبي براه من تحيلها لها في الأحجار نورة وفي النار أخرى ... شبه الظمان يرى سرايا فيحسبه ماء .

(حتى اذا جاءه م يجده شيئا ووجد الله عنده)

خلاصة

البحث الثاني والعشرين وفائده

يقف المتدبر على حكمة قوله تعالى .

(ن كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا) .

(البحث الثالث والعشرون)

في كون الانسان العصري أحوج الى الدين
من الانسان الغابر للمدينة

فأقول ان محو العوان هنا يجري فيمن يرى أن الدين غير المدنية والا فالحق أن ديانة كل قوم تمثل مدينتهم التي كانوا عليها من قبل تسهلهم أو تقول تنصلهم وهو الساموس اللائق

للإنسان في ذلك الحين مهما كان من عند الله وعلى فرض أن التدبير هو غير المدببة فيكون الإنسان العصري أحوج إلى التدبير منه إلى المدببة فيما قبل هذا الدور على أن الإنسان لم يكن غير مدبب ولو يوما ما وإن في حال تسلفه الأشجار وتعذبه من ثمارها واستتره بأوراقها فهو يعتبر سالكاً سبيل الترقى في جميع أطواره على قدر ما يحليه عليه صميمه .

ولا نقطة من ادواره إلا وهو فيها مدبب يعمل على معاكسة الطبيعة القدر الذي يميزه عن جسده العام ويبعده عما كان عليه بالأمس وهكذا إلى أن وصل إلى هذا الدور ؛ وبعده ادوار يعمدها الله ويكشفها المستقبل ؛ وكيفما كان الحال إلا ونرى الأسباب العصري أحوج إلى التدبير منه إلى المدببة فيما قبل ؛ والا لكان أقرب إلى التدهور منه إلى الارتقاء ؛ وليس الصبح بعيد .

(سنة الله في التدبير حلوا من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلاً) .

خلاصة

البحث الثالث والعشرين وفالده

يهدنا أن المدببة العارغة من التدبير غير مأمونة الاستمرار على الترقى والعلم لله .

(البحث الرابع والعشرون)

في كون الشرائع الإلهية لم توضع إلا لحفظ
قوام الإنسان ومراعات مصالحه

فأقول غير حاف في كون الإنسان ذا مصالح يحسر تبعها تفصيلاً غير أنها لا تخرج عن صروب ثلاثة فهي إما أن تكون ضروريات لوجوده . وإما حاجيات لقوامه . وإما كمبليات لتوسعته في المعاملات وكل ضرب منها موقوف على ما قبله . والحاجيات لا يلتفت إليها قبل الضروريات . والتكميليات لا يلتفت إليها قبل الحاجيات

وكيفما وقع الضريح فاصول الضروريات لا تخرج عن محبة أشياء جاء الشرع الالهي بالمحافظة عليها . وهي النفس . والعقل والعقيدة . والنسل . والمال . وماله الاصول لا يستمر وجود الانسان غالبا الا بجميعها . وكل منها يعبر أصلا تبني عليه اصول . والمعنى ان لكل ضروري منها ضروريات واخرى ما وراء ذلك من الحاجيات والتكميليات .

فاذا نظرنا الى ضروريات حفظ النفس مثلا فوجدناها تبلغ خمسة اصول . وهي المطعم . والمشراب . والهواء . والستر . والمأوى . وقس على ذلك ما تبني على كل اصل من جهة مراعات طرفي استجلابه .

واما الحاجيات فهي عبارة عما قد يستغنى عنه الانسان احيانا لكن مع ضئلك في عيشه وخرج في معاملته .

واما التكميليات فهي ما زاد على ذلك حتى قد يظهر عدم الاحتياج اليها فيما يرجع لحفظ حياة الانسان . أما الواقع فهي تنمية للحاجيات . كما أن الحاجيات تنمى للضروريات . وهذا القيد يكون حذف التكميليات رأسا غخلا بالحاجيات . كما أن حذف الحاجيات رأسا غخلا بالضروريات .

أما الشرع الالهي لا يسمح بأي غلل أو نقص يلحق مصالح الانسان ولهذا حفظ لنفسه حق التدخل في سائر شؤونها بما أنه لا يعترف برشد الانسان ولن يعترف به والا لتركه وما صنع . وماذا عسى أن يصنع أكثر مما هو صانعه الآن وقبل الآن وهكذا بعد الآن «ان الانسان لظلم كظلم» .

خلاصة

البحث الرابع والعشرين وفائده

ليعلم الانسان ان الشرع الالهي له تمام التدخل في المحافظة على مصالح الانسان في سائر اطواره وعموم تربيته . وهكذا يبقى حب الانسان لم كره .

البحث الخامس والعشرون

في كون الشرائع الالهية اظهر أثرا
في التكميلات منها في الضروريات

فأقول أن الفرائض الانسانية يوجد فيها ما يبحث على حفظ الضروريات بخلافها في الحاجيات وأخرى التكميليات . ولهذا نجد الشرع الالهي كثيرا ما يعلق الاهتمام على هذا الأخير حيث أنه لا وازع من طبع الانسان يبحث على تحصيله . ولربما يوجد فيه ما هو بعكس ذلك .

ويتضح ذلك في حفظ النفس مثلا بالنظر لحفظ المروعة فكلاهما واجبي الحفظ في نظر العقل . أما في نظر الشرع فربما يفدي آخرهما بأولهما . ومع ذلك لا نجد لحفظ المروعة باعثا من النفس يعتمد عليه غالبا في تحصيله لأنه في نظرهما من قبيل التكميليات التي قد يستغنى عنها غالبا . ولكن الشرع يراها بغير ما تراها به النفس . ولهذا يعطيها من الاهتمام حظه الأوفر . ويرشدنا لذلك قوله عليه السلام «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وشبه المكارم التي تظهر للنفس من قبيل التكميليات تتضح لي شبه الأكل لأنه من ضروريات الانسان . وفي الطبع من الفرائض ما يبحث عليه . ولكن لا نظر للنفس في طرق استجلابه من جهة حسنه وقبحه . ومثل هذا قضاء الحاجة فإنه ضروري للانسان ووازع الطبع كافل في استخراجها . ولكن ما ينشئ على ذلك من مراعاة الهل . واتخاذ السر . وارتكاب اسباب النظافة وغير ذلك لا وازع يبحث عليه . نعم قد يؤخذ من بعض المراعاة العقلية ولكن ماذا عسى يفعل العقل بانفراده والحال أن العقول ليست متساوية .

خلاصة

البحث الخامس والعشرين وفائدته

لتعلم وجه تدخل الشرع في حفظ مصالح الانسان حتى اذا علمنا ذلك لا يبعد أن نراه ضروريا لوجوده .

(البحث السادس والعشرون)

في مقاصد الشرع . وفي كونها لا تخرج عن
مراعاة حفظ الضروريات للانسان

فأقول انه تقدم كون الشرع الالهي في الحاجيات والتكميليات اظهر منه في
الضروريات . وما ذلك الا ان حفظ الحاجي والتكميل هو حفظ للضروري الذي جاء
الشرع بمراعاته . وبالجمل ان مقاصد الشرع لا تتعدى حفظ الضروريات الخمس المتقدمة
في الذكر . وهي : النفس والعقل والاعتقاد والنسل والمال فلو اننا حللنا سائر الأحكام
تحليلا فلسفيا لوجدناها راجعة الى المحافظة على الأصول السابقة بأوضح طريق .

وفي الظن الغالب أن الفلسفة المصرية لا تقول بخلاف ذلك مهما كانت تعاليمها ترمي
الى سعادة الانسان حسبا يقولون . الا اذ كانت ترى حفظ العقيدة ليس هو بالضروري
للانسان . وهذا يصح منها لو كانت تحدد معنى الانسان بغير الناطقية .

اما والحالة انه الحيوان الناطق يمنع ان يسير جمعه على غير عقيدة وفي ذلك الحكم ايضا ما
يقضي على احساساته الباطنية . وقوته الروحية التي هو بها انسان . وذلك من المكابرة
بمكان . لان الانسان لا يفعل غير معتقد . لأن عدم الاعتقاد على فرض وجوده فيه هو
اعتقاد له وهو الذي يحمله على اعمال تنافي ما به الانسان انسانا . ولما كانت العقيدة لا يتم
معنى الانسان بدونها فكان دخولها طبعا في قسم الضروريات التي جاء الدين بالمحافظة
عليها .

خلاصة

البحث السادس والعشرين وقائده

ليظهر ان الدين أعظم كفيل بسعادة الانسان لمن سار حسب تعاليمه .

(البحث السابع والعشرون)

في كون اهتمام الشرع بمهمات الانسان العمومية
أشد من اهتمام الانسان بمهمات الخصوصية

أقول إن مهمات الشرع لا تخرج عن استجلاب المصالح للانسان واستدفاع المضار عنه : بصفة هي أرق مما يستطيع الانسان الحصول عليه على أن الانسان مهما ترقى مداركه لا يكون له فيها من الاستعدادات القدر الذي يحميه من شوائب الأغراض التي قد ترجع به الى مراعاة مصالحه الشخصية بدون ما يبالي أن يكون في ذلك ما يضر بمصالح الغير «فطرة الله التي فطر الناس عليها» ولا انسان الا ويحمل تحت جوانحه القدر الذي يستطيع أن يضر به غيره مهما صح له القدر بالتسلط عليه والشاهد على هذا قوله عليه السلام :

«الظلم تحت ابط كل أحد والولاية تظهره» .

واذا فدخل الانسان تحت وصاية الشرع الالهي اجمل به من دخوله تحت وصاية بعض الأفراد من نوعه وفي ظني أن المنصف يشعر لما به الإشارة مستدلا على صحة نظريتنا بما يعلمه من نفسه .

(ان النفس لأماراة بالسوء الا ما رحم ربي)

خلاصة

البحث السابع والعشرين وقائده

استلفات الانسان الى الدخول في دائرة من يرى أن اختيار الشرع به أولى من اختياره لنفسه والى أولئك الإشارة .

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) .